إهداء

إلى روح شـريكة حيـاتي ومشـواري
أسكنها الله فسيح جناته :

الحاجة الدكتورة / ليلى فاروق

وأتمنـى مـن الله أن يتقبـل هـذا العمـل «علمًـا نافعًـا واهبًـا ثوابـه إلى روحهـا الطاهرة ، وقد عاشت معي معاناة إتمام هـذا العمـل . وشـاء الله أن تكـون في لحظات خروجه للنور في مكان أفضل في جنات الخلد إن شاء الله » .

obeikan.com

شكر وتقدير

خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور ، وأخص بالشكر تلميذتي الباحثة المخلصة والصحفية الأستاذة/ سهرة قاسم محمد (باحثة دكتوراه علوم سياسية) ولها مشاركة هامة .

وكذلك الباحث المتميز والمؤلف الجاد في الشأن الإسرائيلي الأستاذ/ خالد سعيد (باحث دكتوراه دراسات إسرائيلية) وله جهد مشكور .

والشكر كل الشكر لمكتبة جزيرة الورد والأستاذ/ فتحي هاشم والشكر الخاص للأستاذ / عبد الفتاح بشار ولمساته الفنية والإخراج الممتاز ، وفقهما الله لخدمة القارئ العربي وقضايا مصر والوطن العربي.

والشكر والتقدير للمساندة الجادة من أسرتي وأبنائي وأحفادي . كريمتي أسماء حرم العقيد/ لؤى الدين وأحفادي أحمد ، أدهم وآسر ونجلي الرائد أحمد وحرمه هدير وحفيدتي يارا . بارك الله فيهم ولهم .

تقديم

عندما كانت هذه الدراسة فكرة مغروسة في العقل والوجدان ، عبارة عن رغبة قوية في تقديم صورة وافية وواضحة وموثقة عن المجتمع الإسرائيلي المحدود المساحة وعدد السكان والمقومات في قلب المجتمعات العربية الواسعة والمأهولة بالسكان ، وكان الهدف تقديم صورة من خلال وثائق معرفية أدبية من صلب هذا المجتمع وبأقلام كتابه المشهورين بكتاباتهم الوثائقية والواقعية ، فالأدب يمثل واحدًا من أهم وأوثق السجلات المعرفية التي يمكن الاستناد إليها في جلب المعلومات عن التكوينات والثقافات المختلفة عن مجتمع ما من المجتمعات ومن هنا فإن المجتمع الإسرائيلي يمثل صورة مختلفة عن المجتمعات الأخرى لأنه يضم خليطًا من جميع الثقافات المهاجرة من المجتمعات الأخرى فالمصري؛ يعيش في تل أبيب بثقافته المصرية ولغته التي تربى عليها وكذلك العراقي والروسي والألماني والإيراني وغيرهم .

ومن خلال متابعتي لأقسام اللغة العربية بالجامعات العبرية نجد اهتمامًا كبيرًا بأدباء العرب ودراسة المجتمعات العربية من خلال أعمالهم ، فعلى سبيل المثال ، هناك دراسات وافية عن مجتمعاتنا المصرية والعربية من خلال أدب الأديب المصري العالمي وصاحب نوبل «نجيب محفوظ» ودراسة كل تفاصيل المجتمع المصري وهناك رسائل علمية ماجستير ودكتوراه في أدبه وأدب وأعمال أدباء آخرين ، ومن هنا كان اختياري لأدباء إسرائيليين يمثل إنتاجهم وأعمالهم تشريحًا للمجتمع الإسرائيلي بهذا الأسلوب . فالأديب أهارون ميجيد من مواليد بولندا ويشعر بالغربة في إسرائيل ويقول إنه لا يزال محسوبًا على الشتات البولندي ويقول : إن اليهودي في أي بلد في العالم هو يهودي فقط ولكنه في إسرائيل يهودي بولندي ويهودي مصري وعراقي وأمريكي وهكذا ..

ويقول عن الصهيونية : «إنها ولدت من الخطيئة ، وأنها لم تكن حركة لتحرير الشعب اليهودي كما كانت تعتقد ، لكنها كانت حركة لقمع شعب آخر هو الشعب العربي ،

وجرائمها لم تبدأ بالاحتلال عقب حرب يونيو ١٩٦٧ والإخفاق في إعادة الأراضي المتنازع عليها لأصحابها الأصليين ، وسحق سكان هذه الأرض بكل قسوة لكنها ومنذ أيامها الأولى قامت بارتكاب السرقة والطرد والانتهاك والقمع كما مارست الخداع للسيطرة على الأراضي التي لا تملك الحق فيها » .

ويعد هذا انحيازًا للحق الفلسطيني وضرورة إنهاء الاحتلال الظالم كما وصفه ويقول أيضًا : «في الواقع أنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين ، ونتحدث مع من يختارونهم ، إذا اختاروا أشخاصًا من منظمة التحرير الفلسطينية ، يكون الحديث معهم . لا يجوز لنا (إسرائيل) أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم ، ستكون النتيجة في نهاية الأمر ، أيًا كانت ، هي تقسيم الأراضي ، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى «اليشوف» وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم «الشتات» فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل أيضًا تحت سلطة فلسطينية . إن الحل الكونفيدرالي يبدو لي واقعيًا ».

وقد تم اختيار روايته «فويجلمان» حيث تبدأ أحداثها في الشتات وتنتهي بحرب أكتوبر ١٩٧٣م وأحداث الثغرة والاعتراف بقوة الجيش المصري وانتصاره في مقابل تخبط الجيش الإسرائيلي. وكان الاختيار الثاني هو الأديب «أهارون أفيلفيد» الروماني الأصل وروايته «حفرة الثلج» والسرد الواقعي لأحداث النازية ورؤيته لها ورؤيته للمجتمع الإسرائيلي .

وكان الاختيار الثالث لأديب من أصول عربية وهو عراقي من مواليد بغداد «سامي ميخائيل» وروايته «فيكتوريا» والشعور بالعزة والكرامة وعلو الشأن في بغداد مقابل الإهانة والاحتقار من أول يوم وطأت قدماه أرض فلسطين مهاجرًا ، ومن هنا يوجه النقد لإسرائيل ويعرب عن سوء العيش فيها في مقابل ما كان له لأسرته من مكانة واحترام بالعراق .

وعليه هناك قاسم مشترك بين الأدباء الثلاثة وهو عدم الشعور بالأمان والاحترام بإسرائيل مقابل أفضلية ذلك في دول الشتات سواء كانت غربية أم عربية .

وسيجد القارئ بانوراما مضيئة عن المجتمع الإسرائيلي وتسيد العنصرية الإشكنازية ضد الثقافات الأخرى في مقابل الصراعات الدينية والعلمانية والأيديولوجيات الدينية الرافضة للصهيونية في مقابل التمسك بالمسيح المخلص .

القاهرة

د. عبد الرازق سليمان

مقدمة

عندما قامت الحركة الصهيونية فى أوائل القرن العشرين، كان من بين أهدافها الرئيسية، التى وضعتها نصب أعينها، لتحقيق ما تصبو إليه، هدف «جمع شتات المنفيين» فى فلسطين، وهو هدف كان يتضارب تضارباً رئيسياً، مع عقيدة أساسية من عقائد الإيمان اليهودي، وهو أن العودة إلى فلسطين، لابد وأن تتم مع مجيء المسيح المخلّص، وأن أى استعجال لهذه العودة قبل ظهور المسيح المخلّص، هو خروج عن ركن أساسى من أركان العقيدة اليهودية. ولكن الصهيونية مضت فى سبيلها وسعت لتحقيق هدفها محولة شخص المسيح إلى ما أسمته عصر المسيح.

وقد تعرض تحقيق هذا الهدف الصهيونى للعديد من المصاعب رغم محاولات الصهيونية استغلال معاناة اليهود فى شرق أوروبا فى بداية نشأتها، ثم أزمة الحرب العالمية الثانية، بل وسعت لتأجيج ظاهرة معاداة السامية فى بلدان كثيرة لدفع اليهود إلى الهجرة التى كانت وسيلتها لتحقيق هذا الهدف الذى لم تنجح فى الوصول إليه حتى الآن، وظل الشتات اليهودى قائماً، وبالذات فى البلدان التى نشأت فيها، سواء الفكرة الصهيونية أو الحركة الصهيونية، الأمر الذى جعل الصهيونية، وبخاصة بعد قيام الدولة اليهودية تواجه مشكلة العلاقة بين المركز اليهودي، أي الدولة، وبين يهود الشتات، كمعضلة كانت فى حاجة لوضع تصورات جديدة لها.

ومن هنا تعد قضية «الشتات اليهودى» واحدة من أهم القضايا التى شغلت دعاة الصهيونية ومفكريها، منذ نشأتها فى أوروبا، وخاصة بعد قيام دولة إسرائيل وتعرض الحركة للاهتزاز الذى كاد يصل إلى الإخفاق، فيما يتعلق بالهدف الأساسى، وهو تقديم الحل الأمثل لما يسمى «المشكلة اليهودية » فى العالم، وخاصة فى ضوء سلسلة الحروب

التى خاضتها إسرائيل ضد العرب، اعتباراً من حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧م، وانتهاءً بحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، الأمر الذى أدى إلى تبدُّل النظرة الصهيونية تجاه «الشتات اليهودى» من رفضه، تماماً، في بعض المراحل المتقدمة، إلى تقديره والسعى للمحافظة عليه كمخزون بشرى ومادى يدعم دولة إسرائيل فى الأزمات العسكرية، والسياسية، والاقتصادية.

وإذا كان الأدب العبرى المعاصر قد واكب جميع الصراعات والتناقضات التى واكبت نشأة الحركة الصهيونية والاستيطان الصهيونى فى فلسطين، ثم تلك التى تفجرت مع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ، وحتى اليوم، ومن بينها التوترات والصراعات الثقافية، والاجتماعية، والطائفية، والدينية داخل الدولة بحثاً عن الهوية الحقيقية للدولة، فإن إشكالية الموقف من «الشتات اليهودى» أصبحت إحدى القضايا التى طرحها هذا الأدب على خلفية قضية الهوية وإشكالياتها المختلفة.

وقد عكس الأدباء المناصرون للشتات وثقافته أهمية ثقافة لغة «اليديش» ودورها كلغة فاعلة فى الشتات، وفى إسرائيل أيضاً، والدفاع عنها وعن أصحابها فى الوقت الراهن مع إبراز جمالياتها فى مقابل اللغة العبرية، (على سبيل المثال: رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد). وفى المقابل كان هناك الرافضون لليديش وشخصيات «الشتات» بمعنى أن رفض اليديش لم يكن رفضاً أيديولوجياً فقط، وهكذا فجرت لغة اليديش والعالم اليهودى اليديشى ـ أى اليهود على ما هم عليه فى الشتات ـ حالة من الرفض والاشمئزاز بين الصهيونيين.

وبالرغم من أن الشتات اليهودى داخل إطار من الحكم الذاتى، كان أحد الحلول المطروحة لما يسمى «المشكلة اليهودية» فى العالم، فإن الصهيونية رفضت الوجود الشتاتى وطرحت حلاً آخر، وهو الوجود الإقليمى على أرض فلسطين بإقامة دولة يهودية يتم فيها تجميع يهود الشتات.

ومازال هناك صراع يدور الآن على الساحة السياسية والثقافية فى إسرائيل بين أنصار الشتات اليهودى وأنصار الصهيونية. وهناك محاولات تتم داخل إسرائيل وخارجها لإحياء ثقافة الشتات اليهودي والحفاظ عليها، سواء من قبل المتدينين أو العلمانيين.

وهذا المناخ المتأرجح بين القبول والتقدير للشتات اليهودي، ووجوده وثقافته، وبين الرفض، وجد طريقه بوضوح فى العديد من الأعمال الروائية العبرية فى إسرائيل.

ويلقى رصد هذه الحالة ضوءاً على مساحة مهمة من ساحات الصراع الدائرة الآن فى المجتمع الإسرائيلي، وفى فكر ما بعد الصهيونية، وأثر ذلك كله على القرار المسيطر والمؤثر على القضايا والعلاقات بين إسرائيل والشتات اليهودى.

ومن خلال هذه الدراسة التى تعتمد فى رصد هذه الظاهرة على نماذج من الأدب العبرى المعاصر المعبِّر عن المجتمع الإسرائيلى، وعن الشتات اليهودى، سنحاول كشف جانب من جوانب الأزمات التى تواجه هذا المجتمع، فى علاقته بالآخر اليهودى عبر أرجاء الشتات، متخذين من الأدب الروائى وسيلة لإبراز مكنونات وأسرار وخبايا هذا المجتمع، ومدى ارتباطه من عدمه بالشتات، وأهمية هذه التوجهات على شتى المستويات الثقافية، والتاريخية، والنفسية.

وسوف يتمحور البحث حول نماذج أدبية روائية كتبت بعد عام ١٩٧٣م، وعكست التوجهات والصراعات داخل المجتمع الإسرائيلى والشتات اليهودى.

وقد وقع اختيار الباحث من بين نماذج روائية عبرية كثيرة عالجت قضية الشتات اليهودى على ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد (١٩٨٧م). حيث تتناول هذه الرواية، وكما سنتبين من خلال البحث، قضية الشتات اليهودى وقضايا عديدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشتات اليهودى ودولة إسرائيل:

(١) تعالج الرواية فترة زمنية تمتد من الحرب العالمية الثانية وأحداث النازية حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

(٢) من ناحية المكان تشمل الرواية الشتات الأوروبى وحركة اليهود بين شرق أوروبا وغربها والولايات المتحدة الأمريكية، وحتى إسرائيل فى الوقت الراهن.

(٣) تعالج الرواية الشتات اليهودى وقضاياه من حيث الثقافة واللغة والصراع ما بين العبرية واليديشية والمقارنة بين الثقافتين، وكذا المقارنة بين شخصيات الشتات

والشخصيات الصبارية فى إسرائيل.

(٤) أسباب الهجرة من الشتات وشروطها مع الاعتراف بمحدوديتها لتفضيل الشتات وبيئته على إسرائيل.

(٥) رفض الشباب الشتاتى لدولة إسرائيل، وأسلوب حروبها مع جيرانها.

(٦) الاعتراف بفشل الصهيونية فى توفير الملاذ الآمن لليهود فى إسرائيل.

(٧) المقارنة بين ما كان يجرى لليهود فى «أوشفيتس» فى الشتات، وما يحدث الآن فى إسرائيل من افتقاد للأمن والأمان.

(٨) رفض شباب الشتات الغربى التنازل عن ثقافته التى تربى عليها ، والانخراط في ثقافة إسرائيل حسب الأيديولوجيات الصهيونية.

(٩) وفى النهاية تعالج الرواية قضايا عديدة تتعلق بالشتات وتوجهاته نحو دعم إسرائيل مادياً ومعنوياً للحفاظ على وجودها فى قلب الشرق الأوسط.

النموذج الثانى: رواية «فيكتوريا» لسامى ميخائيل (١٩٩٣م) وهى نموذج يعبر عن جانب آخر من الشتات اليهودى، بعيداً عن يهود الغرب وأمريكا، وهم اليهود فى البلاد العربية، ونعنى بصفة خاصة يهود العراق الذى ينتمى إليهم الأديب سامى ميخائيل، حتى تكتمل صورة التناول والعرض من حيث تمثيل كافة يهود الشتات فى كل من الغرب الأوروبى والشرق العربى، فالرواية تعالج أحداثاً تمتد إلى جذور الطائفة اليهودية فى العراق على مدى تاريخ بعيد، شاركت فيه الطائفة فى تشكيل الثقافة بالعراق، وكان للطائفة شأنها المميز، وحتى الهجرة إلى إسرائيل والمعاناة، بدءاً بحياة المعابر والبحث عن العمل والمعاناة من النظرة المتدنية للمهاجرين الشرقيين بإسرائيل.

والرواية في مجملها تعبير عن الشتات اليهودي الشرقي بكل قضاياه الثقافية، والاقتصادية، والأمنية، مقارنة بتلك الأمور جميعها فى إسرائيل.

النموذج الثالث: رواية «حفرة الثلج: لأهارون أبيلفيلد (١٩٩٧م). وقد وقع عليها للأسباب الآتية: الاختيار

(١) كاتب الرواية الأديب أهارون أبيلفيلد، كاتب معاصر، عاش تجربة الشتات وأحداث الحرب العالمية الثانية، وبالطبع كان لهذه التجربة أثرها البالغ فى كل كتاباته المعبرة عن تلك الحقبة وأحداث النازية.

(٢) تطرق الكاتب فى هذه الرواية إلى تفاصيل واقعية لمعسكرات الاعتقال تناول فيها أسباب سقوط القتلى من اليهود، وأن هذه المعسكرات كانت تضم الكثيرين من غير اليهود.

(٣) تطرق الكاتب للحالة النفسية لليهود بعد نهاية فترة المعسكرات وتوجههم.

(٤) تناول الكاتب سلوكيات بعض اليهود فى الشتات وتعاونهم مع سلطات النازية.

(٥) ومن خلال التحليل والبحث فإن الرواية تعالج عدة قضايا تتعلق بالشتات الغربى، تتطابق الآراء فيها عند الأدباء الثلاثة، على الرغم من اختلاف ثقافاتهم وتوجهاتهم الشتاتية.